# فلسفة الكائنات

## ﴿٢﴾

الفضاء

* * * * *

قال ديكارت « انا افتكر فاذاً انا موجود »

وطوم بلير يقول « انا اتحرك فاذاً انا موجود » :

كل حركة فيها ثلاثة امور — المتحرك · والحركة · والفراغ او الفضاء

المتحرك هو طوم بلير والان دعنا منه ·

والحركة نؤجل الكلام فيها الان ·

يبقي الفضاء او الفراغ .....

طوم بلير ليس بجماد فهو يتحرك

ولا نبات فهو يتنقل — والحركة الانتقالية هي الفارق بين النبات وبين الحيوان —

واذا انتقلت اكون قد عملت امرين — برحت حيزاً او محلاً ، وحللت غيره فالحركة الانتقالية هي سفر من موضع الى موضع · والمسافة بين الموضعين هي مقياس السفر او الانتقال ·

ولكن انى كنت فانا اشغل حيزاً · واذا تركته حللت آخر ·

والامر الواضح انني لا اقدر ان استغني عن المحل الا اذا تجردت عن

المادة وذلك امر لا اطيق البحث فيه الان ·

انما الان اعرف شيئاً واحداً · وهو — أيان كنت فانا في الفضاء ·

والفضاء أصله غير منفصلة بين كل حيزين حللتهما · وبين كل موضعين عرفتهما ·

وبين كل الاشخاص · والبيوت والقرى والمدن والبلاد وبين كل الاجرام

فما معنى ذلك ؟

الفضاء واسع جداً · والظاهر انه اعظم مما نتصور او نظن · فقد عرفني قبلما عرفته · ولازمني قبل اسمي ·

لانني في بطن امي كنت في حيز ولكن لم يكن لي اسم ·

وكنت انتقل مع امي من حيز الى حيز كما ينتقل راكب السفينة او القطار من مكان الى مكان وهو ضمن السفينة او القطار ·

ولما ولدت انتقلت بحكم الطبيعة من حيز الى حيز وذلك قبل ان اسمى · فالفراغ ألصق بي من اسمي · ومنذ ولادتي هو ملازمي

فالفضاء مرافق غير مفارق ·

ومع ذلك فهو غير منتقل ·

كل حركة فيه · وهو غير متحرك

قريب من كل وليس بعيد عن احد او عن شيء

كل شيء فيه وهو ليس في شيء

قبل وجودي كان وبعد وجودي يظل كما كان

كل عمل في الخفاء يكون ضمن سلطانه ، فان صليت او اخطأت في اعماق الخفاء وفي ابعد الاماكن عن الناس فانا في الفضاء وتحت نظره ان كان له نظر .

فهو رقيب ولو راقب - والملاك الحارس لو صحت النسبة اليه .

الانسان محدث ولكن الفضاء قديم .

الاجرام تسرح وتدور فيه كما تسرح النعاج في السهول وكما تدور الاولاد في الساحات ، ولكنه لا يسرح ولا يدور .

قبل تكوّن الارض كان ، واذا انحلت الارض فهو يظل كائناً كما كان . يشهد التغيرات ولا يتغير . ولا يؤثر فيه شيء

اذا رمت وصفه اعيتني الحيل ، واذا انكرت وجوده كذبني الحس

اي شيء هو ؟ بل الحري اشيء هو ؟ . من يعلم ؟ . ألا شيء هو ؟ . كيف يكون لا شيء . وكل شيء فيه ؟ .

أمخلوق هو ؟ لست اعلم . لانه اذا كان مخلوقاً فقد سبق العدم وجوده . فماذا كان قبله ؟ .

قبل الحيوانات والنباتات كانت الارض ، وقبل الارض والاجرام كان الفضاء .

فاذا قلنا ان الفضاء محدث فماذا كان قبله ؟ .

أيمكن العقل ان يتصور عدم الفضاء .

واذا كان ازلياً فهل هو اله ؟ . استغفر الله .

واذا كان غير اله أفيوجد ازليان · الاله · والقضآء · وهل هو تحت سلطة الخالق · او مستقل ؟ ·

وهل له مشيئة او فكر ؟ ·

الجواب بسيط جداً ، وهو انني لا اعرف شيئاً عن كل ذلك — ولكن ·

هل القضآء مظهر من مظاهر الخالق ·

فهو اذاً محسوس وغير ملموس ؛ ومشاهد وغير مدرك ، فلا يُحصر ولا يُنكر ·

وفيه يجتمع العلم والايمـان · اذ يضطر العقل للاعتراف بوجوده بدليل الحس ·

ويعجز عن حده اذ لا حد له ولا تحديد ·

وعليه يكون العقل مضطراً للاعتراف بغير المتناهي ، وفي الوقت نفسه معترفاً بعجزه عن ادراكه ·

فموقف العقل امام القضآء موقفه امام اللامتناهي ·

لا ينكره ولا يدركه · ولا يعرفه ولا يجهله · ولا يملكه ولا يتركه · ولا يدنو منه ولا يبعد عنه ·

ولا يزيد عليه ولا ينقص منه ·

مهما اشتد اللجاج وعلت الصيحات · فلا يتأثر القضآء بها ·

ومهما اشتد الحر او الزمهرير فالقضآء على ما هو ·

ان وند ملك الملوك · او مات · فعند القضآء على حد سوى ·

في حدق الظلام وفي ابهر الانوار . الفضاء هو هو — أمس واليوم وغداً قبل غير المتناهي عديم الانتقال ؟ او له انتقال ولكننا لا نشعر به ؟ .. طوم بلير لا يعرف شيئاً من كل ذلك .

. . . . . .

—( المقاييس والابعاد )—

انتقل طوم بلير من مكتبه الى غرفة الطعام . والمسافة بينهما ١٢ خطوة . وقد ضبط المقياس المسافة فكانت ٩ امتار . ففهم طوم بلير معنى المتر والخطوة وكل الف متر كيلومتر . فاذاً الكيلومتر الف وثلاثمئة وثلاث وثلاثون خطوة وثلث الخطوة على مقياس ساقي طوم بلير . وكل مئة كيلومتر ستون ميلاً . وقال الجغرافيون ان الدرجة على سطح الارض سبعون ميلاً . وان محيط الكرة الارضية ٣٦٠ درجة فالمحيط عند خط الاستواء نحو ٢٥٢٠٠٠ ميل . او نحو ٤٠٤٠٠٠ كيلو متر . واذا كان كل كيلومتر ١٣٣٣ ٪ خطوة فيكون محيط الكرة الارضية التي عليها يعيش طوم بلير ٥٣٨٣٣٣٣٣ ٪ ثلاثة وخمسين مليوناً الخ .

هذا كله ونحن على سطح الارض .

ولكن طوم بلير يحب التوسع قليلاً . ومعلوم ان الفضاء لا يتنافس من ذلك واقرب الاجرام الينا على ما يقول الفلكيون هو القمر وبعده عنا ٢٤٠٠٠٠ ميل او يقدر محيط الارض خمس مرات وثلاثة اخماس المرة

وبما ان القمر ابن الارض فالاحسن ان نوسم الدائرة ، فنمشي الى الشمس

وبعدها المتوسط عن الارض ٩٣٠٠٠٠٠٠ ثلاثة وتسعون مليون ميل . والان يستأذن طوم بلير بالاعفاء من تحويل الاميال الى خطوات .

لكن طوم بلير ما زال يوسع نظره في الفضاء

فهو يرمي الى مسافة ابعد .

قال الفلكيون ان الارض سيار تابع الشمس يدور حولها ومنها يستمد القسم الاكبر من نوره وحرارته ، وان السيارات الاخر التي تدور حول الشمس هي عائلة كالام واولادها . وهي — عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري واورانوس ونبتون .

ونبتون هو اخونا الابعد وبعده عن الشمس ٢٧٧٥٣٠٠٠٤٠٠٠ الفان وسبعمئة وثلاثة وخمسون مليون ميل . وهناك تنتهي العائلة الشمسية على ما نعلم

وبعده خلاء هائل وفضاء مجهول الى ان تتصل بفلك اول ثابت بعد الشمس .

والمسافة بين الشمس وبينها ثلاث سنين على سير النور . والنور يسير في الثانية ١٧٥٠٠٠٠٠٠ ميلا او محيط الارض مكرراً ست مرات . وفي الدقيقة ١٠٥٠٠٠٠٠٠٠ الف وخمسين مليون ميل

وفي اليوم ٢٥٤٢٠٠٠٠٠٠٠٠ خمسة وعشرين الف مليون ومئتي مليون ميل

وفي السنة ٩٢٣٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ تسعة الاف واربعة واثنين وثلاثين الف مليون ميل .

وفي ثلاث سنين ٢٨٤٢٩٦٤٠٠٠٤٠٠٠٤٠٠٠

والنجوم تتفاوت بعداً كما تتفاوت قدراً

فقد قدر العلماء ان النور يصل من احدها الينا في مدة الفي سنة فهي بعيدة عنا ٥٦٤٥٩٢٤٠٠٠٤٠٠٠٤٠٠٠٤٠٠٠

فكم يلزم طوم بلير من الوقت ليجتاز هذه المسافة . دعنا من هذا الخيال الآن فلدينا ما هو اهم منه بكثير وهو —

ان تلك النقطة التي هي اقصى بعد عُرف حتى الان لا تحد شيئاً من الفضاء اعني اننا لا نقدر ان نقول انها نصفه او ربعه او اكثر او اقل

ولا يقدر طوم بلير ان يتصور ان المسافة وراءه ابعد مما هي امامه

ولا يقدر ان يقول ان الفضاء الى يمينه يساوي الذي الى يساره او اكثر او اقل .

فالفضاء يحيط بطوم بلير على الجهات الست فوقه وتحته . وامامه ووراءه . ويمينه ويساره . والى كل من هذه الجهات لا يعرف له حداً

وقد فهم طوم بلير ان الفضاء غير محدود بالنظر الى مداركه .

واستخلص مما تقدم القضايا الآتية —

(١) — غير المحدود لا يحصر لا حساً ولا عقلاً .

(٢) — يضطر العقل الى الاعتراف بوجوده والعجز عن ادراكه .

(٣) — يعجز العقل عن تصور التأثير فيه كلياً وجزئياً .

(٤) — يرغم على الاعتراف بالاضطرار اليه مرغماً .

(٥) — لا جزء لغير المحدود .

اعني لا يقدر طوم بلير كما لا يقدر اكبر فيلسوف ان يحدد جزءاً من الفضاء فيقول هذا نصفه او ربعه او ثلثه ، او اكثر او اقل .

غير المحدود هو غير محدود بكل اعتباراته .

واذا افترضنا تجزئته نظرياً فاجزاؤه غير محدودة .

فالقياس والحساب من مبتكرات المحدود .

فهي لا تسوس غير المحدود .

وعلم المسافات يعين الخط بين جسمين

ولكن الفضاء لا يقاس .

هنا يقف طوم بلير وقد استقط في يده وكاد يغمى عليه

لانه لا يدري ماذا يصنع .

لانه يخشى ان يكون الفضاء الهاً ويسكت عن تقديسه فيأثم

ويخاف ان يكون ليس بالله فاذا عبده فقد ارتكب الشرك والعياذ بالله

فصمت . وسكنت حركته العقلية . وفتح فمه وافمض عينيه . وشعر بحقارته امام غير المحدود . واقشعر . وتكرمش جلده . ويقول فلاسفة الكهان ان الصمت امام غير المحدود اقدس عبادة واسمى افعال الخلائق العقلية .

وكثيراً ما كان في الصمت حكمة ليست في الكلام

( الاسكندرية ) « حنا خباز »